مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانية
ISSN: 2709-0302 (online)



Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

# من أعلام الطب عند المسلمين أبو بكر بن عبدالملك ابن زهر (٥٠٧- ٥٩٥هـ) دراسة تاريخية(*)

**د/ غرمان بن عبد الله بن سعيد الشهري**
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة الملك خالد – السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 25/5/2024 تاريخ قبوله للنشر 22/6/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index



# من أعلام الطب عند المسلمين أبو بكر بن عبدالملك ابن زهر (٥٠٧- ٥٩٥هـ) دراسة تاريخية

**د/ غرمان بن عبد الله بن سعيد الشهري**
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
جامعة الملك خالد – السعودية

## الملخص

تميزت الأندلس في العصر الإسلامي بظهور أسر علمية ممتدة تعاقب أفرادها على رئاسة العلم في مجال أو أكثر من المجالات العلمية لفترة طويلة من الزمن؛ ومن تلك الأسر أسرة بني زهر، التي اشتهرت بالحضور السياسي والعلمي في الأندلس عبر قرنين من الزمان. وتعنى هذه الدراسة التاريخية بأحد أعلام هذه الأسرة في مجال الطب والفلسفة والأدب، والذي برع أيضًا في الإدارة حين تولى الوزارة، إنه الوزير الطبيب الأديب أبو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر الملقب بالحفيد (٥٠٧- ٥٩٥هـ/١١١٣-١١٩٩م).

وتبدأ الدراسة بتمهيد موجز عن أسرة بني زهر، ثم تدلف إلى الحديث عن الطبيب الأديب أبي بكر بن زهر الحفيد، ابتداءً بمولده ونشأته وطلبه للعلم، ثم تتناول صفاته ومكانته التي تبوأها لدى العامة والقادة والأمراء. وتهدف الدراسة أيضًا إلى حصر أبرز آثاره العلمية في مجالي الطب والأدب، وتتبع تلاميذه الذين استفادوا من علمه وتجاربه، خاصة في مجال الطب.

ولاشك أن الدراسة توصلت إلى بعض النتائج والتوصيات التي ربما تكون علامات على طريق الباحثين المهتمين بدراسة الجهود العلمية لهذه الأسرة، أو لنظائرها من الأسر العلمية البارزة الممتدة في بلاد الأندلس أو غيرها من بلاد العالم الإسلامي. وقد حرص الباحث على الرجوع إلى المصادر الأصلية في هذا الباب، والاستفادة من المراجع الحديثة ذات الصلة بموضوع الدراسة.

**الكلمات المفتاحية**: أعلام الطب، المسلمين، أبو بكر.

# A pioneer in Muslim medicine Abū Bakr ibn ʿAbd al-Malik ibn Zuhr al-Ḥafīd (the grandson) (507-595 AH/1113-1199 AD) Historical study

**Dr. Gharman bin Abdullah bin Saeed Al-Shahri**
Assistant Professor of Islamic History
King Khalid University - Saudi Arabia

## Abstract

Al-Andalus was characterized in the Islamic era by the emergence of extended scientific families whose members were successive to head science in one or more fields for a long time. Among those families is the Banī Zuhr family, which was famous for its political and scientific role in Andalusia over two centuries. This study deals with one of the prominent figures of this family in the field of medicine, philosophy and literature, who also excelled in administration when he assumed the ministry. He is the minister, physician and writer Abū Bakr Muḥammad ibn ʿAbd al-Malik ibn Zuhr, nicknamed al-Ḥafīd (the grandson) (507-595 AH/1113-1199 AD).

The study begins with a brief introduction about the Banī Zuhr family, then goes on to talk about the physician and writer Abū Bakr ibn Zuhr al-Ḥafīd, starting with his birth, upbringing, and pursuit of knowledge, and then discusses his qualities and the position he held among the common people, leaders, and princes. The study also aims to identify his most prominent scientific influences in the fields of medicine and literature, and to trace his students who benefited from his knowledge and experiences, especially in the field of medicine.

There is no doubt that the study reached some results and recommendations that may illuminate the path of researchers interested in studying the scientific efforts of this family, or its counterparts among the prominent scientific families extending in al-Andalusia or other provinces of the Islamic world. The researcher was keen to refer to the original sources, and to benefit from modern references relevant to the subject of the study.

**Keywords:** Medical pioneer, Muslims, Abu Bakr.

**مقدمة:**

لم تمنع الظروف السياسية المضطربة وعدم وجود وحدة سياسية حقيقية في معظم فترات الحكم الإسلامي الطويل لبلاد الأندلس والمغرب قيام نهضة حضارية رائدة قادها العلماء الأفذاذ في المجالات كافة، فكانت الأندلس قبلة لطلب العلم بفنونه المختلفة، وكانت هذه البيئة العلمية المحفزة على الإبداع وعلو الهمم سببا في ظهور علماء مجددون بلغت شهرتهم الآفاق شرقا وغربا، وذاعت مصنفاتهم وترجمت إلى لغات شتى؛ فكان لها بالغ الأثر في الحضارات الأخرى؛ وخاصة الطب والفلسفة.

وتميزت الأندلس عن غيرها بأسر علمية يتعاقب أفرادها على رئاسة العلم في بابه، وامتد بعضها قرونا مثل: أسرة بنو رشد وأسرة بنو زهر، وسوف يتعرض الباحث لأحد أعلام الطب في الحضارة الإسلامية، وهو سليل أسرة بني زهر الذين برعوا في هذا الباب لعدة أجيال، وهو: الوزير الحكيم الأديب الفقيه أبو بكر محمد بن أبي مروان عبدالملك بن زهر، والملقب بالحفيد (٥٠٧- ٥٩٥هـ/١١١٣-١١٩٩م).

وقد قسمت بحثي هذا بعد هذه المقدمة إلى سبعة مباحث، المبحث الأول: لمحة موجزة عن بلاد الأندلس وأحوالها السياسية حتى نهاية القرن السادس الهجري، اشتمل على وصف مختصر لبلاد الأندلس ثم تتبع سريع للتغيرات السياسية حتى نهاية القرن السادس. والمبحث الثاني: أسرة آل زهر ومكانتها العلمية، وقد ألقيت الضوء على سجل هذه الأسرة العلمي ورئاستها لعلمي الطب والفلسفة لأكثر من قرنين من الزمان، موضحا بعض المواطن التي خلط فيها بعض المؤرخين بين علماء هذه الأسرة، والمبحث الثالث: أبو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر الحفيد، مولده ونشأته وتعليمه، والمبحث الرابع: صفات أبي بكر الحفيد الخلقية والخُلقية ومكانته، والمبحث الخامس: آثار أبي بكر الحفيد العلمية في الطب والأدب، والمبحث السادس: تلاميذ أبو بكر بن زهر الحفيد، وكان هذا المبحث من المباحث التي شحت فيها المعلومة رغم طول عمر عالمنا ابن زهر، وعلو كعبه في التدريس والتعليم، المبحث السابع: وفاة أبو بكر الحفيد، ثم ختمت بحثي هذا بخاتمة حررت فيها بعض النتائج والتوصيات التي دونتها أثناء رحلة البحث في هذا المجال الحضاري مع هذا العالم الجليل.

وقد قابل الباحث صعوبات متنوعة، من أهمها: قلة المعلومات وتناثرها في كتب التراث، وتكرارها دون إضافة جديد أو شيء مختلف بل هي نقل من مصدر واحد تقريبا، بالإضافة إلى ما اعتراها من خلط وتحريف وتصحيف، وكان لتشابه أسماء هذه الأسرة وكناهم دور في ذلك، كما أن المعلومة انعدمت تماما في بعض الجوانب التي أرى أهميتها، مثل: التعريف بالكتاب الأهم لأبي بكر ابن زهر الحفيد وهو: الترياق الخمسيني، حيث لم يقف الباحث – حسب اطلاعه- على تعريف به أو تحليل لمضمونه ومحتواه، كما أنها

لم تتوفر معلومات توضح تفاصيل الدور السياسي لهذا العالم؛ وخاصة أنه تقلد الوزارة ولقب بها، وكان له حظوة ومكانة لدى أمراء دولة الموحدين منذ تأسيسها حتى وفاته في أول عهد الناصر.

ورغم هذا فقد اجتهد الباحث أن يقدم في هذا العمل صورة شاملة لحياة وآثار هذا العالم، مع التعرض بشيء من الإيجاز لبيئته العلمية والسياسية؛ كي تزيد تلك الصورة وضوحا.

وقد استفاد الباحث من المصادر الأولية الإسلامية لتاريخ وحضارة بلاد المغرب والأندلس، ومنها: تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبي (ت ٣٦٧هـ)، والمقتبس في تاريخ الأندلس، لحيان بن حيان الأندلسي (ت ٤٦٩هـ)، والذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لعلي بن بسام (ت ٥٠٢هـ)، والحلة السيراء لمحمد بن عبدالله القضاعي الشهير بابن الأبار (ت ٦٥٨هـ)، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن عذاري المراكشي (ت٧١٢هـ)، وهو من أهم المصادر ومن أشملها وقد تناول بالتفصيل تاريخ الأندلس في الجوانب كافة من افتتاح المسلمين لها حتى عام (٦٦٧هـ)، ومنها: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقَّري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، وغيرها من المصادر وردت في ثنايا البحث، كما استفاد الباحث من كتب التاريخ العام، مثل الكامل في التاريخ لابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، وتاريخ الإسلام للذهبي (٧٤٨هـ)، والبداية والنهاية لأبن كثير (٧٧٤هـ)، وتاريخ ابن خلدون (٨٠٨هـ)، وغيرها من المصادر التي ذكرت في موضعها، كما استفاد الباحث من الكتب المتخصصة في طبقات الأطباء وكانت مرافقة له في جميع مراحل العمل، ومنها: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم الخزرجي (ت٦٦٨هـ)، والذي كان مدار البحث عليه، بل إن كثير من المؤرخين نقلوا عنه في بابه، حيث جمع جمعا طيبا عن أعلام الطب في الحضارة الإسلامية حتى عصره، وإخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي، علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ)، وغيرها من كتب الطبقات والأعلام.

وإذا كانت هذه الدراسة قد نهلت مادتها بالدرجة الأولى من المصادر، فإن ذلك لا يعني أنها كانت بمنأى عن الاستفادة من الدراسات الحديثة، فهي من نهاية جهود المؤرخين ابتدأت، وعلى طائفة من تحقيقاتهم توكأت، وبمنهاج بعضهم اهتدت، فتم الاستعانة بما وقع تحت اليد من أبحاث وكتب لها صلة بالموضوع، وهي مذكورة في مواضعها وفي ثبت المصادر والمراجع في آخر البحث.

ويأبى الله إلا أن يكون المتفرد بالكمال، ويبقى النقص والتقصير ملازم للعمل البشري، ولابد أنه اعترى عملي هذا إغفال وإهمال، وطول ممل، واختصار مخل، ولكن هذا جهد المقل وقليل المجتهد، أتمنى أن يكون فيه النفع والفائدة، وأستغفر الله من الخطأ والنسيان، والله المستعان.

**المبحث الأول: لمحة موجزة عن بلاد الأندلس وأحوالها السياسية حتى نهاية القرن السادس الهجري.**

قال ابن عذاري: جزيرة الأندلس جزيرة مركنة ذات ثلاثة أركان قريبة من شـــكل المثلث، الركن الواحد منها عند صـنم قَادِس، والركن الثاني في بلاد جليقية، وهو مقابل لجزيرة بركانية حيث الصِّنم المشـبه بصـنم قادس، والركن الثالث بناحية الشـــرق، بين مدينة أربونة ومدينة برذيل حيث هو قرب البحر المحيط الغربي من البحر المتوسط الشامي، وكاد البحران هناك أن يجتمعا في ذلك الموضع، فتصير الأندلس في جزيرة أولا يسـير ما بقي منها، وهو مسـيرة يوم كامل، وفيه مدخل يقال له الأبواب، وفيه تتصَّـل الأندلس بالأرض الكبيرة. فالأندلس كلُّها محدقة بالبحر: البحر المحيط الغربي والبحر المتوسـط القبلي، ويصـعد منه قليل إلى ناحية الشـــرق؛ فحدُّ الأندلس في الشـــرق والغرب وبعض الجوف البحر المحيط، وحدُّها في بعض القبلة والشـرق البحر المتوسِّـط، إلا أنَّه يتوسـط الأرض كلَّها. وقيل إنه قي آخر الأقاليم السـبعة(١)، وسـكنها بعد الطوفان قوم يعرفون بالأندلش؛ فسـميت بهم، وقيل كانوا مجوسـا(٢)، ثم تعاقبت عليها أمم كثيرة، وكان آخر من سكنها القوط الذين اعتنقوا النصرانية، وقد ملك منهم ستة عشر ملكا كان آخرهم لذريق الذي دخل عليه المسلمون سنة ٩٢هـ/٧١١م(٣).

وقد وليها من المسـلمين قبل حكم بني أمية اثنين وعشـرين واليا بعضـهم لم تسـتمر ولايته إلا أياما أو أشـهرا وبعضـهم تولى فترتين كان آخرهم يوسـف بن عبدالرحمن الفهري، وهو الذي انتزع منه عبدالرحمن بن معاوية الملقب بالداخل إمارة الأندلس ١٣٨هـ/٧٥٦م(٤)، وقد تولى خلال حكم بني أمية – الذي اسـتمر أربع وثمانين ومئتي سـنة (١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٦-١٠٣١م) – خمسـة عشـر أميرا أولهم عبدالرحمن الداخل وآخرهم المعتمد بالله هشـام بن محمد(٥)، ثم كان عصـر ملوك الطوائف – وهو اسـتقلال كل والي بمدينة أو ناحية من الأندلس ـــ وقد كان بينهم من التناحر والخلاف ما أطمع النصارى فيهم؛ فأستنجد المعتمد بن عباد حاكم اشـبيلية بزعيم المرابطين في المغرب يوسـف بن تاشـفين، فدخل الأندلس وهزم جموع النصـارى بقيادة الملك الفونشـو السـادس في معركة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م، وعاد ابن تاشـفين إلى المغرب(٦)،

---

(١) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنســـال، (بيروت: دار الثقافة، ط١، ١٩٨٣م) ج١، ص١٣٨، وللاسـتزادة انظر: الإدريسـي، نزهة المشـتاق في اختراق الآفاق، (اليمن: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ)، ج٢، ص٥٢٥، والحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م)، ج١، ص٣٢.

(٢) ابن هشام، عبدالملك، التيجان في ملوك حمير، (اليمن: مركز الدراسات اليمنية، ط١، ١٣٤٧هـ)، ج١، ص١٠٦.

(٣) ابن عذاري، المصدر نفسه، ج١، ص١٣٨، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ)، ج٩، ص٩٩.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث، ط١، ١٤٠٨هـ)، ج٩، ص٩٩ وما بعدها، العتيق، عواد عبدالله، رحلة إلى بلاد الأندلس، ص٥-٩.

(٥) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكـامـل في التـاريخ، (بيروت: دار الكتـاب العربي، ط١، ١٤١٧)، ج٥، ص١٢٢-١٢٣، ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٧)، ج٤، ص١٥٥.

(٦) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، المصـدر السـابق، ج٨، ص٣٠٧، ابن الأبار، محمد بن عبدالله، التكملة، ج١، ص٢٩، ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص١٤، المصري، جميل عبدالله، الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة، ص١٦٩.

لكن الأمور لم تستقر في الأندلس حيث هاجم ملك قشتالة المسلمين فاستنجدوا بابن تاشفين فدخل للمرة الثانية سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م، وعاونه بعض ملوك الطوائف وصد هجوم النصارى وسيطر على بعض حصونهم(٧)، ولكثرة التناحر والخلافات بين ملوك الطوائف حث العلماء زعيم المرابطين على السيطرة على الأندلس وحمايتها من النصارى فكان ذلك وضمها إلى دولته ببلاد المغرب عام ٤٨٣هـ/١٠٩٠م، واستمر في حكمها حتى وفاته سنة ٥٠٠هـ/١١٠٧م، ثم خلفه ابنه علي بن يوسف وتوالى عليها أحفاده(٨).

وفي عام (٥١٥هـ/١١٢٢م) قامت حركة دينية دنيوية في بلاد المغرب تسموا بالموحدين يقودها عبدالمؤمن بن علي الزناتي البربري، وتوسعت هذه الحركة حتى استولت على بلاد المغرب كاملة في عام ٥٤٢هـ/١١٤٩م، ثم مدوا نفوذهم وضموا جميع أملاك دولة المرابطين بما فيها الأندلس(٩)، واثناء حكمهم لبلاد المغرب والأندلس صدوا هجمات النصارى على الأندلس، بل أوقعوا بهم الهزائم في مواقع متفرقة كان أهمها موقعة الأراك عام ٥٩١هـ/١١٩٥م(١٠).

لم ينته خطر النصارى عند هذا الحد بل كانوا يتربصون وينتظرون الفرصة للانقضاض على المسلمين في الأندلس عن أي غفلة منهم، فجمعوا جيوشهم بقيادة الفونشو الثامن يعاونه جيوش صليبية من أوربا والتقوا بالموحدين عند حصن العقاب سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م، وهزم جيش الموحدين في هذه المعركة هزيمة منكرة وتفرق جمعهم وتشتت قوتهم، ودب في دولتهم الضعف وانحسرت عن الأندلس وتلاشت حتى سقطت تماما عام٦٦٨هـ/١٢٦٩م(١١).

أما الأندلس فقد تقاسمها أمراء نصارى وبعض الأمراء المسلمين من أشهرهم: آل هود في سرقسطة وبعض أحوازها(١٢)، وبنو نصر المعروفين ببني الأحمر في غرناطة(١٣)، وهي آخر معاقل المسلمين سقوطا في الأندلس على أيدي النصارى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م(١٤).

---

(٧) ابن الأبار، محمد بن عبدالله، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: ط٢، ١٩٨٥م)، ج٢، ص٨٤، ١٧٥، اولمعتق، عواد عبدالله، رحلة في بلاد الأندلس، (المؤلف: ط١، ١٤٢٧هـ)، ص١٩.

(٨) المعتق، عواد عبدالله، رحلة في بلاد الأندلس، (المؤلف: ط١، ١٤٢٧هـ)، ص١٩.

(٩) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، المصدر السابق، ج٩، ص١٤٦، ابن كثير، المصدر السابق، ج١٢، ص٢٧٥.

(١٠) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، المصدر السابق، ج٩، ص١٤٦-١٥٠.

(١١) المعتق، رحلة في بلاد الأندلس، ص٢١.

(١٢) ابن الآبار، محمد القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، (لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ)، ج٢، ص٢١٢، الأندلسي، علي بن موسى، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٥٥م)، ج٢، ص٢٥١، ٤٣٦، الناصري، احمد بن خالد، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتب، ١٤١٨هـ)، ج٢، ص٥٦.

(١٣) الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٣.

(١٤) الناصري، المصدر السابق، ج٤، ص١٠٢، الخلف، سالم بن عبدالله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، (المدينة: الجامعة الإسلامية، ط١، د.ت)، ج١، ص١٠٨.



هذه لمحة موجزة عن الأندلس وأحوالها السياسية، مع شيء من التوضيح لحالة الأندلس وبلاد المغرب السياسية في عصر أسرة آل زهر العلمية وخاصة في عهد أبو بكر بن زهر الحفيد كي تتضح الظروف السياسية المحيطة بعصر هذا العالم ومدى أثرها على الحياة العلمية بشكل عام وعلى ابن زهر بخاصة.

## المبحث الثاني: أسرة آل زهر ومكانتها العلمية:

بدأ ظهور أسرة آل زهر في الأندلس منذ أوائل القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وامتدت شهرتها وحضورها السياسي والعلمي - ولا سيما في مجال الطب - إلى النصف الأول من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[١٥]، وخلال هذين القرنين عاشت الأندلس طورا طبيا مزدهرا، شغل مكانا مرموقا في تاريخ الطب العربي والعالمي[١٦]، وأول من رفع من شأن هذه العائلة هو محمد بن مروان بن زهر (٤٢٢هـ/١٠٣١م)؛ حيث كان شيخ زمانه وعالم عصره، فكان فقيها جليلا في بلاد الأندلس[١٧]، ثم خلفه في العلم ابنه أبو مروان عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر الذي نبغ في الفقه، لكنه كان ميالا إلى علم الطب فاشتغل به، ورحل إلى القيروان وتتلمذ على يد كبار أطبائها، ثم رحل إلى القاهرة فنال شهرة واسعة في مجال الطب، ثم عاد إلى أشبيلية واستقر فيها حتى توفي عام (٤٧١هـ/١٠٧٩م[١٨])، وخلفه في مهنة الطب وفي الشهرة ابنه أبو العلا زهر بن عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر، وقد ذاع صيته في مهنة الطب مثل أبيه، وتدفق إليه طلاب العلم من كل حدب وصوب لتبحره في علم الطب، وقربه الأمير يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ثم آثر البقاء في بلاد الأندلس حتى وفاته عام (٥٢٥هـ/١١٣١م[١٩])، ومن مصنفاته في الطب: كتاب الخواص، وكتاب مجريات الطب، وكتاب التذكرة، وكتاب الأدوية المفردة، وكتاب النكت وغيرها من الكتب والرسائل[٢٠]، وقد خلفه أبو مروان (الابن) عبدالملك بن أبي العلاء زهر بن عبدالملك (٤٦٤-٥٥٧هـ/١٠٧٢-١١٦٢م)، وهو واسطة عقد أسرة بني زهر العلمية، حيث خصص كل وقته لدراسة الطب وتدريسه والتصنيف فيه ومزاولته[٢١]، وكان لسيرة أبائه ونبوغهم العلمي والثروة المعرفية التي خلفوها دورا في تشكيل شخصية أبو مروان بن زهر العلمية، ولكنه فاقهم كثيرا، ولم يكن بمعزل

---

(١٥) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمرو التدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت)، ج٤٣، ص٩٤.

(١٦) حربي، الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٢م)، ص٧١.

(١٧) ابن بشكوال، الصلة، اعتنى به: السيد عزت العطار، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٣٧٤هـ)، ص١٦٦، ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت: دار الحياة، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٢٧٨-٢٩١.

(١٨) حربي، الأسر العلمية، ص٧٧-٧٨.

(١٩) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج٣، ص٢٧٨-٢٩١.

(٢٠) ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ج٣، ص٢٨٨.

(٢١) حربي، الأسر العلمية، ص٨٠-٨٢.

عن أحداث عصره السياسية فقد كان له حظوة عند أمراء المرابطين مع والده، ونال من ذلك من الأموال والنعيم والجاه الشيء الكثير(٢٢)، ومع ذلك لم يسلم من حسد الأقران ونقمة الأمراء فتعرض للسجن والنفي(٢٣)، وبعدها قربه عبدالمؤمن بن علي الأمير الموحدي ونال لديه المكانة والتقدير حتى وفاته، وقد ترك لنا أبو مروان ثروة علمية ناضجة تنم عن سعة علم وعمق تجربة، ومن أهم مصنفاته: كتاب التيسير في المداواة والتدبير، والذي يعد من أفضل ما ألف في الطب على الإطلاق(٢٤)، وهو موسوعة علمية طبية تظهر تضلع ابن زهر وموهبته في الطب، وقد عاصر العالم الكبير والطبيب والفيلسوف العظيم ابن رشد وكان بينهما مودة وتعاون، وقد امتدح ابن رشد ابن زهر وكتابه التيسير وأحال عليه وقال انه كان سببا في خروجه(٢٥)، كما ألف أبا مروان كتاب الاقتصاد في إصلاح الأنفس والأجساد(٢٦)، وكتاب الأغذية، وكتاب الجامع في الأدوية والمعجونات، وكتاب التذكرة في أمر الدواء المسهل وطريقة أخذه، وهو عبارة عن رسالة ألفها لولده أبي بكر بن أبي مروان(٢٧)، كما ألف تصانيف كثيرة متعلقة بالكلى والبهاق والحصى(٢٨)، وصنف كتاب الترياق السبعيني لعبدالمؤمن بن علي الأمير الموحدي(٢٩)، ويتميز أبو مروان بن زهر بأنه لم يأخذ آراء الآخرين على أنها مسلمات، بل خالف جالينوس؛ وخاصة في بعض آراءه التشريحية، وخرج من طابع الخضوع المشين الذي قبع عصورا لنظريات قابلة للنقاش والتعديل(٣٠)، وقد ترجمت كتب عبدالملك بن زهر إلى اللاتينية وخاصة كتاب التيسير، والذي كان له أثر كبير في علم الطب الأوربي لعدة قرون، يقول جورج سارتون: إن أبا مروان تميز عن غيره في علم الطب في شرق وغرب الدولة الإسلامية، بل إنه أعظم طبيب في عصره في العالم أجمع(٣١).

ثم كان من بعده ابنه أبو بكر محمد بن أبي مروان عبدالملك بن زهر(٥٠٧-٥٩٥هـ)، وهو من نوابغ الطب والأدب والفلسفة، وسوف نتعرض له بشيء من التفصيل في بحثنا هذا.

---

(٢٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٣، ص٢٨٦.

(٢٣) الأنصاري، محمد بن محمد، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط١، ١٩٦٥م)، ج١، ص١٩.

(٢٤) عفيفي، محمد الصادق، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٩٧٧م)، ص٢٠١.

(٢٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٣، ص٣١٩-٣٢٠.

(٢٦) عفيفي، تطور الفكر العلمي، ص٢٠١.

(٢٧) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج٣، ص٢٩١.

(٢٨) المصدر نفسه، ج٣، ص٢٩١، ج١، ص٣٤٤.

(٢٩) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، (بيروت: دار إحياء التراث، د.ط، ١٤٢٠هـ)، ج١٩، ص١١٠.

(٣٠) مظهر، جلال، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٩٧٤م)، ص٣٢٩.

(٣١) الدفاع، علي بن عبدالله، رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية، (مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٩٩٨م)، ص٢٨٣.

وقد امتدت هذه الأسرة العلمية في ابنه أبو محمد عبدالله بن محمد وفي أخته وبنتها، ولكن أبا محمدا مات مسموما ولم يتجاوز الخامسة والعشرين بعد أن أصبح طبيبا يشار إليه بالبنان[٣٢]، فهو تلميذ تلك الأسرة البارعة، وخلف ابنين هما: عبدالملك ومحمد[٣٣]، ولم تسعفنا المصادر بأخبارهما فيما بعد.

ومن هذه النبذة المختصرة يتبين نبوغ هذه الأسرة العلمية وتميزها في علم الطب، بالإضافة إلى العلوم الأخرى التي اعتنوا بها، كما يتبين لنا وصف تلك البيئة العلمية التي نشأ فيها الحفيد أبو بكر بن زهر، والذي سوف نتناول شيء من سيرته وآثاره العلمية في مجال الطب وغيره من المجالات في الصفحات التالية.

## المبحث الثالث: أبو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر الحفيد (مولده ونشأته وتعليمه):

هو أبو بكر محمد بن أبي مروان عبدالملك بن أبي العلاء زهر بن أبي مروان عبدالملك بن محمد بن مروان بن زهر الإيادي الاشبيلي ويلقب بالحفيد[٣٤]، ولد باشبيلية سنة (٥٠٧هـ/١١١٣م)[٣٥]، وهو يمثل الجيل الرابع من عائلة آل زهر العلمية[٣٦]، وقد شب وترعرع في أحضان والده أبي مروان عبدالملك ابن زهر أعظم عالم بالطب في العالم العربي والإسلامي بل في العالم أجمع في عصره[٣٧]، والذي قال عنه ابن رشد: إنه أعظم طبيب بعد جالينوس[٣٨]، وبذلك كانت نشأة أبو بكر الحفيد في بيئة علمية طبية فريدة ومميزة، جمع والده فيها بين رئاسة الطب وإلمام بالعربية والعلوم الشرعية، إضافة إلى خبرات سياسية في بلاط دولتين من الدول ذات التأثير في تأريخ بلاد المغرب والأندلس وهما دولتي المرابطين والموحدين[٣٩]، وكان ولده أبو بكر معه في بلاط أمراء الموحدين يتعلم منه الطب ويتعلم أدب خدمة الأمراء والملوك[٤٠]، وقد جرى على سنن أبائه من التثقيف العميق في العلوم الشرعية فحفظ القران وسمع الحديث[٤١]، وتفوق في دراسة الفقه؛ حيث لازم الفقيه عبدالملك الباجي سبع سنين يتعلم منه، ويقرأ عليه كتاب المدونة لعبدالسلام سحنون في فقه

---

(٣٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٣، ص٩٣.

(٣٣) المصدر نفسه، ج٤٣، ص٩٤.

(٣٤) المصدر نفسه، ج٤٣، ص٢٠٥.

(٣٥) المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، ١٣٨٨هـ)، ج٢، ص٢٤٢.

(٣٦) حربي، خالد، الأسر العلمية، ص٨٢-٨٤.

(٣٧) الدفاع، علي بن عبدالله، رواد علم الطب، ص٢٨٣.

(٣٨) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج٣، ص٣١٩، وانظر: مرحبا، محمد عبدالرحمن، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، (دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م)، ص٢٥٧.

(٣٩) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج٣، ص٣٤٥.

(٤٠) المصدر نفسه، ج٣، ص٥٢٠.

(٤١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ)، ج١٩، ص٥٩٩.

الإمام مالك، كما قرأ عليه أيضا مسند ابن أبي شيبة(٤٢)، كما برع في الشعر والأدب وسمع كتاب الأغاني من ابن عبدون(٤٣)، حيث زاد شعره الأصيل وموشحاته المبتكرة من شهرته فكان فيه مقدما وطارت شهرتها شرقا وغربا(٤٤)، وأحاط ذلك كله بورع وتقى وعقل شهد له به كل منصف (٤٥)، وقد انصرف في الشؤون الطبية وتعلمها إلى الإلمام بالجوانب العلمية وإتقان المهارات العملية(٤٦)، ولابد أنه اطلع على كتب أساطين العلم الذين سبقوه كما كان حال والده، فكان حسن المعالجة جيد التدبير لايماثله أحد في ذلك حيث رأس في فني الطب والأدب وبلغ فيهما النهاية(٤٧)، وكان ينوب عن والده في صغره عند سفره، وقد ألف له كتاب الزينة تذكرة في أمر الدواء المسهل وكيفية أخذه(٤٨).

## المبحث الرابع: صفات أبي بكر الحفيد الخلقية والخُلقية ومكانته:

كان معتدل القامة، صحيح البنية، قوي الأعضاء، شديد البأس، مليح الشكل، نضر اللون، حتى بعد أن طعن في السن بقيت نضارته، ولم يتبين تغير في قوة حركاته وكمال صحته؛ سوى ما أصابه من ثقل في سمعه أواخر عمره(٤٩)، وكان فصيح اللسان مكين في اللغة، حفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب(٥٠)، تميز بذكاء متقد، وصواب رأي وكمال عقل ومروءة، واشتهر بحسن المعالجة وجودة التدبير(٥١)، وكان قوي النفس، محبا للخير، سمحا جوادا سخيا، نفاعا بماله وجاهه(٥٢)، متسامحا حتى مع من أساء إليه، وقد كان بينه وبين الحافظ أبو بكر ابن الجد عداوة شديدة ومخاصمه، فطلب منه أحد جلساءه أن ينتقم منه فغضب غضبا شديدا، وقال: أمثلي يجازي على العداوة بما يجازي السفلة والأوباش، وإني أجعل ابن الجد في حل

---

(٤٢) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٥.

(٤٣) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٤.

(٤٤) ابن خلدون، المقدمة، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ط، ١٩٩٧م)، ص٣٨٤.

(٤٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٦، وانظر: حربي، خالد، الأسر العلمية، ص٨٣.

(٤٦) حربي، خالد، الأسر العلمية، ص٨٣.

(٤٧) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥.

(٤٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٤، ج٣، ص٢٩١.

(٤٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٤-٣٤٥، وانظر: الحموي، ياقوت بن عبدالله، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٤١١هـ)، ج٥، ص٣٥٤، والذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥، والمقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٧.

(٥٠) الحموي، معجم الأدباء، ج٥، ص٣٥٤، وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٥.

(٥١) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥، وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٥.

(٥٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٢، وانظر: السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين، (القاهرة: مطبعة السعادة، ط١، ١٣٧١هـ)، ص٣٨٧.

من موضـع الخصـام الذي بيني وبينه(٥٣)، وكان دينا متين الدين ورعا عدلا، ملازما للأمور الشـرعية(٥٤)، وعندما كاد له أحد أعيان أشـبيلية مكيدة، وحرر محضـرا على شـهادات كثيرة وأوصـله للأمير الموحدي المنصور، فنظر المنصور في المحضر، ثم أمر بمن عمله أن يقبض عليه ويودع السجن، فانهزم الشهود، وقال: والله لو اجتمع أهل الأندلس ووقفوا أمامي وشهدوا على ابن زهر بما في هذا المحضر لم أقبل منهم؛ لما أعرفه من متانة دينه وعقله(٥٥).

بهذه الصفات الخلقية والخلقية انتهت إليه الرياسة في اشبيلية، وكان لايعدله عند السلاطين أحد(٥٦)، وهو عين أسـرة آل زهر العريقة – وإن كانوا كلهم عيونا وأعيانا وعلماء وحكماء – حيث نال المراتب العلية، وتقدم عند الملوك ونفذت أوامره(٥٧)، مع كثرة أموال، وإشـراف على أقوال أهل الطب ورئاسـة لصناعته، وشهرة بلغت الأفاق(٥٨)، فكان وزيرا مقدما كثير الحرمة من سروات الأندلس، انتهت إليه رئاسة الطب والأدب(٥٩).

هذه المكانة والصدارة العلمية والاجتماعية والسياسية أوجدت لأبي بكر بن زهر الحفيد أعداء وحسادا كثر، يحيكون له المكائد والمؤامرات والدسائس، بل إن أبا زيد عبدالرحمن بن يوجان وزير المنصور الموحدي حسده ونقم عليه مكانته وعلمه؛ فدس له السم وقتله(٦٠).

## المبحث الخامس: آثار أبي بكر العلمية في الطب والأدب:

ذكرنا بأن أبا بكر ابن زهر الحفيد كان حسن المعالجة جيد التدبير لايماثله أحد في زمانه في ذلك، وبلغ من ذلك أنه يراجع والده الذي بلغت شـهرته الآفاق في نسـخ الدواء، ومن ذلك أن والده كتب دواء مسـهلا لأمير الموحدين عبدالمؤمن بن علي، فاسـتدرك الابن أبو بكر على والده، وعندما سـأل الأب عن ذلك قـال: الصواب معه يا أمير المؤمنين(٦١).

(٥٣) الشقندي، ابن سعيد، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، د.ط، ١٩٦٨م)، ج١، ص٥٠.

(٥٤) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥، وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٥.

(٥٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٥.

(٥٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٢.

(٥٧) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٧.

(٥٨) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥، وانظر: المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٧.

(٥٩) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥، وانظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ٣٤٤، ٣٤٥.

(٦٠) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٦.

(٦١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٥٢٢، وانظر: حربي، خالد، الأسر العلمية، ص٨٣.

وقد صنف أبو بكر الحفيد رسائل كثيرة في طب العيون(٦٢)، بالإضافة إلى أهم مصنفاته وهو الترياق الخمسيني(٦٣)، صنفه للمنصور أبي يوسف يعقوب (٦٤)، ولم يقف الباحث على وصف لهذا الكتاب أو تحليل لمضمونه.

وقد شكل أبو بكر ابن زهر الحفيد فريقا علميا يتكون من أخته وابنتها اللتان تتلمذتا على يديه وبرعتا في صناعة الطب وخاصة طب النساء والولادة، حتى أن الخليفة الموحدي المنصور أختصهن بتطبيب نساءه(٦٥).

وبالإضافة إلى ما سبق من تخصص عميق في علم الطب فقد اشتغل أبو بكر الحفيد بالعربية والأدب حتى برع فيهما فكان من علماء عصره فيهما، ويوصف بأنه أكمل صناعة الطب والأدب(٦٦)، وعاني نظم الشعر وأجاد فيه، وله موشحات مشهورة، وهي من أجود ماقيل في ذلك وطارت شهرتها شرقا وغربا، ومنها(٦٧):

---

(٦٢) الزركلي، خير الدين محمود، الأعلام، (دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٦، ص٢٥٠.

(٦٣) قال الفراهيدي في كتاب العين: قلب الدال تاء مثل: درياق ترياق، وهما الدواء، وقال البغدادي: الدرياق خالص الخمر وجيده، وشبه بالدرياق الشافي، وقال ابن العماد: العرب تسمي الخمر درياقا وترياقا؛ لأنها تذهب الهم، والترياق في التطبيب ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين، وهي كلمة فارسية معربة، وروى أحمد عن عائشة رضي الله عنها، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن في تمر العالية شفاء أو قال ترياقا أول بكرة على الريق"، وقد يستخدم في تركيب الترياق لحوم الأفاعي والخمر وهي حرام نجسة، وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود والبيهقي وغيرهما، أن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما أبالي ما أتيت إن أنا شربت ترياقا أو تعلقت تميمة أو قلت الشعر من قبل نفسي"، قال أبو داود: هذا كان للنبي خاصة وقد رخص فيه قوم يعني الترياق، وقيل الترياق أنواع، فإذا لم يكن فيه ما ذكر فلا بأس به، وقيل الحديث مطلق فالأولى اجتنابه، وفي الحديث راوي ضعيف هو: عبدالرحمن بن رافع التنوخي، وقد ضعف الألباني هذا الحديث. انظر: ضعيف الجامع رقم (٤٩٧٦)، وضعيف المشكاة رقم (٤٥٥٤)، وانظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، (دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت)، ج٢، ج١، ص٣٧، ص٥٣، والبغدادي، عبدالقادر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد طريفي، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، ١٩٩٨م)، ج٤، ص٣٥٧، وابن العماد، عبدالحي بن أحمد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ط٣، ١٩٥٥م)، ج٤، ص١٧٩، ومسند الأمام أحمد، تحقيق: السيد أبو المعاطي، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٩هـ)، ج١١، ص١٢٥، وسنن أبي داود، سليمان بن الأشعث، (بيروت: دار الكتاب، د.ط، د.ت)، ج٤، ص٥، والبيهقي، أحمد بن الحسين، السنن الكبرى، (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٤٤هـ)، ج٩، ص٣٥٥، وابن الأثير، أبو السعادات الجزري، النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ط، ١٣٩٩هـ)، ج١، ص٤٩٥.

(٦٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، وانظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ٢٥٠.

(٦٥) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٦.

(٦٦) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥، وانظر: ابن خلدون، المقدمة، ج١، ص٣٨٤.

(٦٧) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٨، وانظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٤، الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٥٠.

أيها الساقي إليك المشتكى ** قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت في غرته

وبشرب الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الزق إليه واتكى ** وسقاني اربعاً في أربع

ما لعيني عشيت بالنظر

أنكرت بعدك ضوء القمر

وإذا ما شئت فاسمع خبري

عشيت عيني من طول البكا ** وبكى بعضي على بعضي معي

غصن بان مال من حيث استوى

بات من يهواه من فرط الجوى

خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ** ويحه يبكي لما لم يقعِ

وله أيضا(٦٨):

إني نظرتُ إلى المرآة إذ جُليت ... فأنكرت مُقلتاي كلما رأتا

رأيتُ فيها شييخاً لست أعرفه ... وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى

فقلت أين الذي مثواهُ كان هنا ... متى ترحل عن هذا المكان متى

فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت ... قد راح ذاك وهذا بعد ذاك أتى

هون عليك وهذا لا بقاء له ... أما ترى العشب يفنى بعدما نبتا

كان الغواني يُقْلنَ: يا أخي، فقد ... صار الغَوَاني يَقُلْنَ اليوم: يا أَبَتَا

وله أيضا موشحا منه(٦٩):

هل ينفع الوجد أو يفيد ... أم هل على من بكى جناح

يا منية القلب غبت عني ... فالليل عندي بلا صباح

أفديه من معرض تولى ... لا عين منه ولا أثر

(٦٨) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٧، وانظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٣.

(٦٩) ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٨، وانظر: والمقري، نفح الطيب، ج٣، ص ٤٦٨.

عـــذبـــني في هــــواه كـــلا لم يــبـــق مـــني ولا يـــذر
يا عــين عـــيـــني فـــلـــيـــس إلا صـــبر عــلـــى الـــدمـــع والســـــهـــر

ويفعل الشوق ما يريد في كبد كلها جراح
يا مخجل اليد لا تسلني عن جور ألحاظك الملاح

ومن شعر ابن زهر الحفيد(٧٠):

يا مــن يــذكــرني بــعــهــد أحــبــتي طــاب الحــديــث بــذكــرهــم ويــطــيــب
أعــد الحــديــث علــي مــن جــنــبــاتــه إن الحــديــث عــن الحــبــيــب حــبــيــب
ملأ الضـــلــوع وفــاض عن أحــنــائهــا قــلــب إذا ذكـــر الحـــبـــيـــب يـــذوب
مـــا زال يضــــــرب خـــافـــقـــا بجـنــاحـــه يالـيــت شـــعري هــل تطير قلوب(٧١)

## المبحث السادس: تلاميذ أبي بكر بن زهر الحفيد:

كان يتردد على أبي بكر بن زهر طلبة العلم ويلازمونه المدة الطويلة فيكتسبون منه علما وأدبا، يتعلمون صناعة الطب ويقرأون عليه كتبه(٧٢)، وكان يأمر تلاميذه أن يجيدوا حفظ القران وأن يشتغلوا بقراءة التفسير والحديث والفقه، وأن يواظبوا على مراعاة الأمور الشرعية والاقتداء بها ولا يخلوا بشـيء منها، وإذا صارت لهم ســجية وعادة قد ألفوها سمح لهم بمطالعة كتب المنطق والفلســفة وقراءتها عليه(٧٣)، ومن أجل تلاميذه والآخذين عنه: أبو جعفر بن الغزال، حيث لازمه ســنين طويلة حتى برع في الطب وخدم المنصــور الموحدي(٧٤)، ومن تلاميذه: أبو الحسين المصدوم(٧٥)، وقد اعتنى بأخته وابنتها فعلمهما صناعة الطب فبرعتا فيها، وبخاصة طب وتوليد النساء(٧٦)، ومن تلاميذه: الحافظ أبو الخطاب بن دحية صاحب كتاب: المطرب من أشعار أهل المغرب(٧٧)، وكان من تلاميذه البارعين ابنه أبا محمد عبدالله بن أبي بكر، الذي كان شـديد

(٧٠) المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٤٦٨.

(٧١) للاستزادة من نماذج شعر أبي بكر بن زهر الحفيد، أنظر: عيسى، فوزي سعد، ابن زهر الحفيد وشاح الأندلس، (الإسكندرية: معارف، د.ط، د.ت) ص١٤٥-٢٠١.

(٧٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٦.

(٧٣) المصدر نفسه، ج١، ٣٤٦-٣٤٧.

(٧٤) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٦، وانظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ٢٢٥.

(٧٥) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٦.

(٧٦) المصدر نفسه، ج١، ص٣٤٧.

(٧٧) المقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٧، وانظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٤٢، ص٢٠٥.

الذكاء، كثير الاعتناء بصناعة الطب والنظر فيه، وقد أطلعه والده على كثير من أسرار هذه الصناعة وعلمها ومهاراتها العملية، قرأ عليه كثير من الكتب منها: كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري(٧٨).

ولابد أنه في عمره المديد الذي قارب التسعين عاما خرج عشرات من الأطباء والأدباء والفلاسفة ولكن لم تسعفنا المصادر بالكثير من الأسماء، كذلك لم يقف الباحث على اسم أخته وابنتها.

## المبحث السابع: وفاة أبي بكر بن زهر:

امتد بالوزير الحكيم الأديب أبو بكر بن زهر العمر حتى بلغ بضع وثمانين عاما، قضاها في طلب العلم والتعليم وتقلد المهام السياسية في دولة الموحدين، حيث خدم مؤسس الدولة عبدالمؤمن بن علي، ثم ابنه أبي يعقوب يوسف، ثم يعقوب أبي يوسف الملقب بالمنصور، ثم ابنه أبا عبدالله محمد الناصر، وقد توفي في أول دولته(٧٩)، وذكر ابن أبي أصيبعة أنه مات مسموما؛ حيث كان أبو زيد عبد الرحمن بن يوجان وزير المنصور يعادي الحفيد أبا بكر بن زهر ويحسده لما يرى من عظم حاله، وعلو منزلته وعلمه، فاحتال عليه في سم صيره مع أحد من كان عند الحفيد بن زهر فقدمه إلى الحفيد ابن زهر في بيض فأكله فمات من حينه(٨٠).

وتكاد تجمع المصادر بأن وفاته كانت في شهر ذي الحجة من سنة (٥٩٥هـ/١١٩٩م)(٨١)، وكانت وفاته بمدينة مراكش، ودفن بمقبرة الشيوخ(٨٢).

### الخاتمة:

حين أطليت على هذا الجانب المضيء من جوانب الحضارة الإسلامية وهو: تاريخ الأطباء المسلمين، تمنيت أن يطول بي الوقت؛ لأزيد بحثا وتقصيا عن هذا العالم الجليل أبو بكر محمد بن عبدالملك ابن زهر الحفيد، وكان من فوائد هذه الرحلة البحثية الاطلاع على بعض تفاصيل الحياة السياسية والاجتماعية في بلاد المغرب والأندلس خلال القرن السادس الهجري، وما حوت من أحداث تستحق وقفات كثيرة من الباحثين، ولعل هذا العمل فاتحة خير لأعمال تتبعه في مجاله، وخلال تنقلي بين محطات هذا الموضوع الشيق واطلاعي على مجد أسرة بني زهر العلمي والسياسي، وأثر ذلك في الحضارة الإسلامية وبخاصة في

---

(٧٨) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٩.

(٧٩) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٤-٣٤٥.

(٨٠) عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٦.

(٨١) ذكر ابن أبي أصيبعة أن وفاته في أول سنة ست وتسعون وخمسمئة، في حين أن تلميذه الحافظ أبو الخطاب بن دحية، صاحب كتاب: المطرب من أشعار أهل المغرب، ذكر أنها بلغته وفاة أبو بكر الحفيد أواخر سنة خمس وتسعين وخمسمئة، ووافقه كثير من المؤرخين؛ انظر: عيون الأنباء، ج١و ص٣٤٥، والمقري، نفح الطيب، ج٢، ص٢٤٨، وكحالة، عمر، معجم المؤلفين، (بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث الوطني، د.ط، د.ت)، ج٣، ص٦١، والزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٥٠.

(٨٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج١، ص٣٤٥، وانظر: الزركلي، الأعلام، ج٦، ص٢٥٠.

الأندلس، ومحاولة إحاطتي بأخبار وآثار أحد أعلامها وعيونها وهو: أبو بكر بن عبدالملك بن زهر الحفيد؛ توصلت من خلال هذه الدراسة إلى بعض النتائج، ومن أهمها:

١-ظهر من خلال التقصي للمعلومات في المصادر أن هناك بعض الخلط لبعض المعلومات والأعمال، ونسبتها إلى أكثر من علم من أعلام هذه الأسرة العلمية؛ وبخاصة ما يتعلق بالرحلات العلمية، والمصنفات العلمية، وكذلك الأدوار السياسية، وقد يكون السبب نقل المعلومات من بعض المصادر دون تحقيق أو تمحيص، وربما حصل تحريف وتصحيف، وخاصة أن أعلام أسرة بني زهر يتشابهون في الأسماء والكنى، فترى بعض المصادر يفرقون بإطلاق بعض الألقاب مثل: الابن أو الحفيد، وهكذا.

٢-هناك من هو جدير بالدراسة والبحث من أسرة آل زهر، وكان يفوق عالمنا أبو بكر الحفيد في سعة علمه وبخاصة في مجال الطب والفلسفة، بل قيل عنه: إنه أعظم طبيب في عصره في العالم بعد جالينوس، وهو: أبو مروان عبدالملك بن أبي العلاء زهر بن عبدالملك (٤٦٤-٥٥٧هـ)، وهو والد عالمنا الجليل أبي بكر بن زهر الحفيد، فقد شاعت مؤلفاته، وترجمت ودرست في أقطار الدنيا عدة قرون، وكان لها دور بارز في نهضة الطب في العالم الإسلامي والعالم الأوربي، ومنها الكتاب الشهير: التيسير في التداوي والتدبير.

وبعد عرض أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة فإن من المناسب أن نختمها ببعض التوصيات، ومنها: توجيه طلاب الدراسات العليا إلى دراسة وتقصي هذه الجوانب المضيئة، وإخراج الدراسات والأبحاث فيها؛ لعلها ترفع من معنويات الأمة بعد أن يطلعوا على دورهم الريادي في هذه المجالات الرئيسة في حضارات الأمم، وهي مجالات خصبة للدراسة والتحقيق، كما يوصي الباحث بتحري الدقة، ومقابلة الروايات في هذا النوع من الدراسات؛ لتكرار المعلومة وتشابهها، ونقل بعض الأخطاء بين المصادر، ولو كان هناك متسع لأوردت أمثلة على ذلك، ولكني عمدت إلى الرواية الراجحة عندي فأوردتها دون تعليق خشية الإطالة، ولعل من الأمور المهمة التي يمكن أن يوصي بها الباحث أيضا: إعادة النظر في بعض كتب التراث بالتحقيق والدراسة، وبخاصة ما يتعلق بالجوانب الحضارية؛ حيث إنه مضى على نشر بعضها زمن طويل، ولم تصحح ولم تنقح، بل نفدت من المكتبات والأسواق، فضلا عن طباعتها الرديئة، ونشرها من قبل مستشرقين ينقصهم الكثير من الجوانب التي تفيد المحقق، بالإضافة إلى المستجدات والحقائق العلمية والبحثية التي طرأت، فلعله ينهض لهذا الأمر الأساتذة وطلاب الدراسات العليا؛ كي يقدموا خدمة جليلة لأمتهم وحضارتهم.

لعل فيما ورد في هذا البحث الموجز علامات على طريق الباحث المتعمق المتقصي، اللهم أغفر سهونا وعمدنا، وتجاوز عن زلة القلم واللسان، أنت المولى وأنت المستعان.



## المصادر والمراجع:

### أولا: المصادر

ابن الأبار، محمد القضاعي (ت: ٦٥٨هـ)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة: ط٢، ١٩٨٥م)، ج٢.

التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، (لبنان: دار الفكر للطباعة، ١٤١٥/١٩٩٥م)، ج٢.

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ)، ج٥.

ابن الأثير، أبو السعادات الجزري (ت: ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الأثر، تحقيق: طاهر الزاوي، محمد الطناجي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ).

الإدريسي، محمد، (ت: ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (اليمن: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ)، ج٢.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم (ت: ٦٦٨هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت: دار الحياة، د.ط، د.ت)، ج١.

الأندلسي، علي بن موسى بن سعيد (ت: ٦٨٥هـ)، المغرب في حلي المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٥م).

الأنصاري، محمد بن محمد (ت: ٨٦٥هـ)، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط١، ١٩٦٥م)، ج١.

ابن بشكوال، خلف بن عبدالملك الأندلسي (ت: ٥٧٨هـ)، الصلة، اعتنى به: السيد عزت العطار، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٢، ١٣٧٤هـ).

البغدادي، عبدالقادر (ت: ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: محمد طريفي، اميل بديع، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨هـ)، ج٤.

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ)، السنن الكبرى، (حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٤٤هـ)، ج٩.

حربي، خالد، الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية، (مصر: المكتب الجامعي الحديث، د.ط، ٢٠١٠م).

الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت: ٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١/١٩٩١م)، ج٥.

الحميري، محمد بن عبدالمنعم (ت: ٩٠٠هـ)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: مطابع دار السراج، ط٢، ١٩٨٠م)، ج١.

ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق: السيد أبو المعاطي، (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤١٩/١٩٩٨م)، ج١١.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ)، المقدمة، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٧م).

العبر وديوان المبتدأ والخبر (بيروت: دار الفكر العربي، د.ط، ١٩٩٧م).

أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، (بيروت: دار الكتاب)، ج٤.

الذهبي، محمد بن أحمد (ت: ٧٤٨هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمرو التدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، د.ط، د.ت).

سير أعلام النبلاء، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥/١٩٨٥م)، ج١١.

السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين، (مصر: مطبعة السعادة، ط١، ١٣٧١هـ).

الشقندي، ابن سعيد، فضائل الأندلس وأهلها، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م).

الصفدي، صلاح الدين بن أيبك (ت: ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ)، ج١٩.

ابن عذاري، أحمد بن محمد (ت: ٦٩٥هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، (بيروت: دار الثقافة، ط١، ١٩٨٣م).

ابن العماد، عبدالحي بن أحمد الحنبلي (ت: ١٠٣٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ)، ج٤.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٣هـ)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ج٢.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ)، ج٩.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٨).

الناصري، احمد بن خالد (ت: ١٣١٥هـ)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري، (الدار البيضاء: دار الكتب، ١٤١٨هـ)، ج٢.

ابن هشام، عبدالملك بن هشام (ت: ٢١٨هـ)، التيجان في ملوك حمير، (اليمن: مركز الدراسات اليمنية، ط١، ١٣٤٧هـ)، ج١.

**ثانيا: المراجع:**

حربي، خالد أحمد، الأسر العلمية ظاهرة فريدة في الحضارة الإسلامية، (لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠١٢م).

الخلف، سالم بن عبدالله، نظم الأمويين ورسومهم في الأندلس، (المدينة: الجامعة الإسلامية، ط١، د.ت).

الدفاع، علي بن عبدالله، رواد علم الطب في الحضارة العربية الإسلامية، (مؤسسة الرسالة، د.ط، ١٩٩٨م).

الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، (ت: ١٣٩٦هـ)، الأعلام، (دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م)، ج٦.

عفيفي، محمد الصادق، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٩٧٧م).

عيسى، فوزي سعد، ابن زهر الحفيد وشاح الأندلس، (الإسكندرية: معارف، د.ط، د.ت).

كحالة، عمر، (ت: ١٤٠٨هـ)، معجم المؤلفين، (بيروت: مكتبة المثنى ـــ دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج٣.

مرحبا، محمد عبدالرحمن، المرجع في تاريخ العلوم عند العرب، (دار الجيل، ط١، ١٩٩٨م).

المصري، جميل عبدالله، الزلاقة معركة من معارك الإسلام الحاسمة، (المدينة: الجامعة الإسلامية، د.ط، د.ت).

مظهر، جلال، حضارة الإسلام وأثرها في الترقي العالمي، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ط، ١٩٧٤م).

المعتق، عواد عبدالله، رحلة في بلاد الأندلس، (الرياض: مطابع السفراء، ط١، ١٤٢٧هـ).